سلسلة

فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة ص]

مستقاة من كتاب (تفسير القرآن الكريم)

للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

ط / دار الثريا للنشر والتوزيع

جمع واختيار

منى الشمري

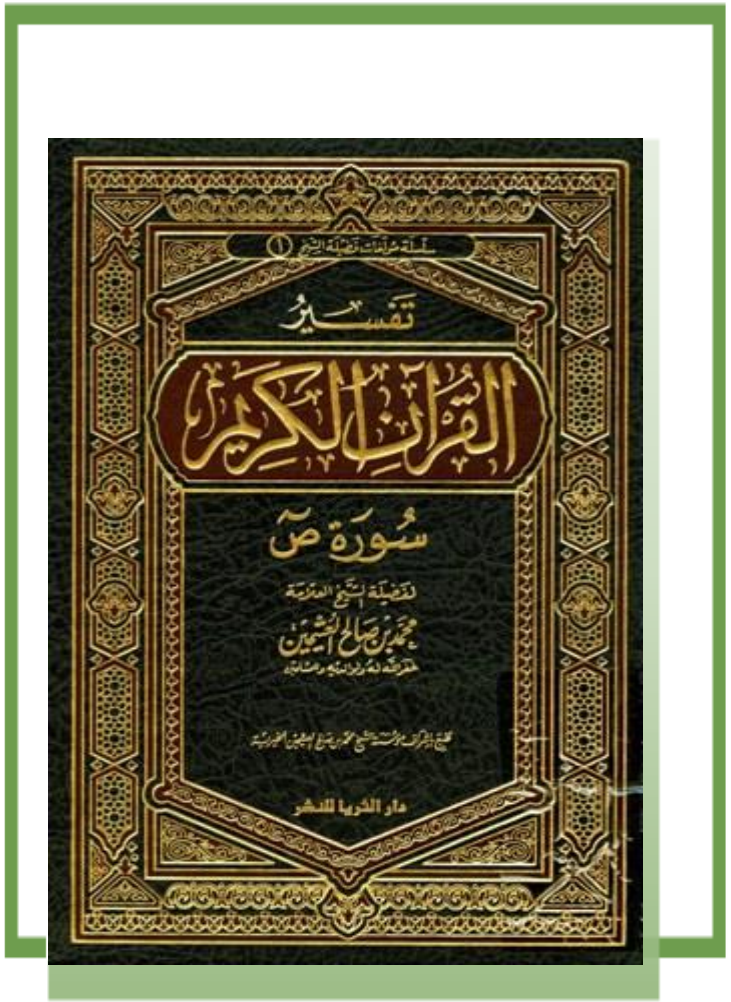

{ص والقرآن ذي الذكر} [ص: ١]

- {ص} نقول فيها: "ص" حرف هجائي ليس له معنى، لكن جيء به للإشارة إلى أن هذا القرآن الكريم الذي أعجز العرب كان من هذه الحروف التي يتركب منها كلامهم.

- {والقرآن ذي الذكر} يعني أن القرآن ذو ذكر، أي: ذو بيان للناس، يذكرهم ويتذكرون به، أو ذو شرف لشرفه وشرف من يعمل به. قال اللّه تعالى: {وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون} [الزخرف: ٤٤] فهو ذكر: يذكر به ما ينفع الناس في معاشهم ومعادهم. وذكر: يتذكر به الناس ويتعظون به، وهو أعظم موعظة. وذكر: أي شرف لمن تمسك به.

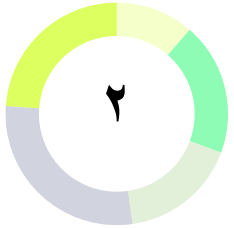

{بل الذين كفروا في عزة وشقاق} [ص: ٢]

- أن الكفار لا يسكتون على كفرهم ويستمرون في طغيانهم وأنفتهم، بل يحاولون أن يصدوا عباد الله عن دين الله، لأنهم في شقاق دائم، يشاقون الله ورسوله.
- إنهم في عزة وشقاق مع الحق دائما، سواء مع الله، أو مع الرسول، أو مع ورثة الرسول وهم العلماء، أو مع أتباع الرسول عموما وهم المؤمنون، فهم في شقاق دائم مع الحق.

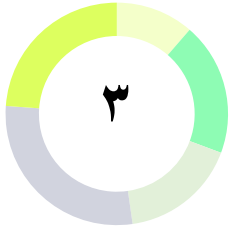

{كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [ص: ٣]

- أن التكذيب للرسل كان كثيرا ، لأن إهلاك القرون إنما كان بسبب تكذيبهم، فإذا كثرت القرون فلازم ذلك أن يكثر التكذيب، أي: إذا كثرت القرون المهلكة، كان لازم ذلك أن يكثر التكذيب.
- أن الأمم الهلكة إذا نزل بهم العذاب لم يستفيدوا من الاستغاثة بالله ولا بأنفسهم؛ لقوله: {فنادوا ولات حين مناص (٣)} يعني ليس هناك فرار من هذا العذاب الذي نزل بهم.
- بيان قوة الله وعظمته، حيث أهلك أمما كثيرة وقرونا عظيمة.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة ص

{وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص: ٤]

- أن أعداء الرسل لا يعادونهم عداء شخصيا ، ولكنهم يعادونهم عداء معنويا ، لما جاؤوا به من الرسالة. ويتفرع على هذه الفائدة أن الكافرين سيكونون أعداء لكل من يتبع الرسول. كل من اتبع الرسول سيجد له أعداء من الكافرين والمنافقين. ويتفرع على ذلك تسلية من وجد عداء من أعداء اللّه لتمسكه بكتاب اللّه وسنة رسوله، فإنه يقال: هذا العداء الذي حصل لك قد حصل لمن هو خير منك فلا تعجب.

- ن أعداء الرسل بل أعداء الرسالة يطلقون ألقاب السوء على من تمسك بالشرع، يضعون ألقاب السوء لكل من تمسك بالشريعة؛ لقولهم: {هذا ساحر كذاب} وقد حصل هذا ، فإن أهل التعطيل مثلا يصفون أهل الإثبات من السلف بأنهم حشوية مجسمة ممثلة رعاع غوغاء وما أشبه ذلك من ألقاب السوء من أجل أن ينفروا الناس، والعجب أن هؤلاء الذين يضعون ألقاب السوء لو تأملنا لوجدنا هذا اللقب الذي وضعوه للمتمسكين بشريعة اللّه، يصدق عليهم هم.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة ص

{وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: ٥]

- تخوف هؤلاء من تأثير دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيهم، ولهذا كانوا يتواصون بالصبر على آلهتهم، وكانوا يتواصون بالبقاء والثبات على طريقتهم، وكانوا يتواصون بالهروب من الأماكن التي يدعى فيها إلى التوحيد. كل هذا يؤخذ من قوله: {أن امشوا واصبروا على آلهتكم}.

- أن أهل الباطل يحنون على باطلهم، ويحافظون عليه ويخافون من تزعزعه، لقوله: {وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم} وهكذا أهل الباطل تجدهم دائما يحوطون باطلهم بالسياج الذي يمنع من الوصول إليه على وجه يمزق هذا الباطل.

- أن للاجتماع على الشيء تأثير في بقائه وثباته. تؤخذ من التواصي بالثبات على ما هم عليه، والصبر على آلهتهم. ولا شك أن العمل الجماعي أكثر تأثيرا من العمل الفردي مهما كان الفرد في القوة.

{ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق} [ص: ٧]

- أن كل إنسان ليس عنده علم شرعي فإنه يلجأ إلى ما كان الناس عليه في العادة، وهذا كما هو في من سبق فهو في من حضر، كثير من الناس تنهاه عن المنكر فيقول: هذا الذي مشى عليه الناس، وهذا ليس بحجة، وهذا كما أنه سابق فهو أيضا لاحق، فمن الناس من إذا أنكرت عليه المنكر قال: هذا ما زال الناس عليه، أو يقول: ما سمعنا بهذا، ومنه قول بعض العامة إذا نبهوا على شيء لم يكونوا يعرفونه، قالوا: هذا دين جديد، ما سمعنا بهذا، وهذا ليس بحجة. وإنما الحجة الدليل القائم من كتاب الله، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

- أن صاحب الباطل لا يعرف أن حجته حجة عليه، لأن قولهم: {أأنزل عليه الذكر من بيننا} هي حجة فيما لو نزل الذكر على من يشاؤون، لأنه لو نزل على من عينوه وأرادوه، لقال غيرهم: {أأنزل عليه الذكر من بيننا} ويتفرع على هذه الفائدة كل مبطل يحتج بحق، لكن استدلاله به باطل، فإنه لا حجة له

{أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب} [ص: ١٠]

- الخلق لا يملكون خزائن رحمة الله، ولا يملكون السموات والأرض وما بينهما؛ لأن ذلك لله عز وجل. ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: "اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت" فخزائن رحمة الله لا يملكها أحد، الذي يملكها هو الله عز وجل، وفي حديث ابن عباس "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك".

- ويتفرع على هذه الفائدة أنه لا ينبغي للإنسان أن يعلق رجاءه إلا بالله عز وجل، ولا يعلق رجاءه بمخلوق إلا في الحدود الضعيفة المرسومة. يجعل الرجاء كله والتعلق كله بالله عز وجل، وإذا جعل هذا في الله، سخر الله له المخلوقات، حتى البشر يسخرهم له، لكن إذا تعلق بغير الله وكل إلى من تعلق به وضاع.

{إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ} [ص: ١٤]

- الاعتبار بالأغلب، وأن الكل قد يطلق على الأغلب، لأن قوم نوح لم يكذبوا كلهم، قال الله تعالى: {وما آمن معه إلا قليل} [هود: ٤٠] وكذلك عاد، قال الله تعالى: {ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا} [هود: ٥٨] وكذلك لوط آمن معه من آمن من أهله، كما قال تعالى: {فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين} [الذاريات: ٣٥] كذلك فرعون لم يؤمن إلا حينما أدركه الغرق إيمانا لا ينفعه، وكذلك صالح آمن معه من آمن، وعلى هذا فالله عز وجل قال: {إن كل إلا كذب الرسل} إن كل، أي: من هؤلاء إلا كذب الرسل.

- أنه من كذب رسولا من الرسل فهو مكذب باعتبار الأغلب لجميع الرسل لقوله: {إن كل إلا كذب الرسل}

- أن تكذيب الرسل سبب للعقوبة لقوله: {إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب}

{وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} [ص: ١٦]

- بطلان ما ذهب إليه كثير من المتكلمين في تفسير التوحيد، حيث قالوا في تفسير التوحيد: (أن تؤمن بأن اللّه واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في أفعاله لا شريك له، واحد في صفاته لا شبيه له)، فإن هذا لم يتعرضوا فيه لذكر الألوهية إطلاقا، قالوا: إن اللّه واحد في ذاته لا قسيم له ... إلخ هذا هو التوحيد عند عامة المتكلمين، ولا شك أن هذا التوحيد لم يدخل فيه توحيد الألوهية الذي جاءت الرسل بتحقيقه وإثباته والقتال عليه، لم يقولوا واحد في ألوهيته لا يعبد غيره، أسقطوا هذا نهائيا، ولا شك أن هذا قول باطل في أن هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، بل هذا من التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وليس هو التوحيد كله، بل فيه أيضا إجمال في قولهم: واحد في صفاته لا شبيه له فالمشركون الذين قاتلهم الرسول - صلى اللّه عليه وسلم -، واستباح دماءهم وأموالهم ونساءهم وذريتهم، كانوا يقرون بما يدعي المتكلمون أنه هو التوحيد.

{اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ١٧]

- قسم العلماء رحمهم الله الصبر إلى ثلاثة أقسام فقالوا: صبر على أقدار الله المؤلمة، وصبر عن محارم الله، وصبر على طاعة الله، وهذا الأخير هو أعلى أنواع الصبر، لأن الصبر الأول هو صبر قهري. فالصبر على المصائب صبر قهري، لأن المصائب لم تقع باختيارك، وإنما هي بغير إرادتك فأنت أمامها إما أن تصبر صبر الكرام، وإما أن تسلوا سلو البهائم، ثم الصبر عن محارم الله دون الصبر على أوامره، وذلك أن الصبر على محارم الله ليس فيه إلا كف النفس فقط، والكف أسهل من الفعل، وأما الصبر على الطاعة فهو أعلاها؛ لأن فيه صبرا على كف النفس وعلى فعلها، على كف النفس عن ترك هذا المأمور به، وعلى الفعل يرغمها على أن تفعل؛ ولهذا قال أهل العلم: إن الصبر على أوامر الله أفضل من الصبر عن نواهيه، والصبر عن نواهي الله أفضل من الصبر على أقدار الله المؤلمة.

{اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ١٧]

- الثناء على القوي في العبادة لقوله: {عبدنا داوود ذا الأيد} أي: ذا القوة في العبادة، وعليه يتنزل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" فإن المراد بالقوة هنا القوة في الإيمان، يعني القوي في إيمانه، لأن القوي وصف يعود على المؤمن، فيكون المراد القوي في هذا الوصف، وليس قوي البدن، لأن قوة البدن قد تنفع وقد تضر، بخلاف قوة الإيمان فإنها نافعة لا مضرة فيها.

- فضيلة داود أيضا من جهة أخرى وهو أنه مع قوته في العبادة رجاع إلى الله من ذنبه في قوله: {إنه أواب (١٧)} أي: رجاع إلى ربه لو أذنب فإنه يرجع إليه

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} [ص: ٢١]

- القصص الإسرائيلية تكون عندنا على ثلاثة أوجه:
- الأول: ما شهد شرعنا ببطلانه فهو باطل.
- الثاني: ما شهد شرعنا بصدقه فهو حق بشهادة شرعنا.
- الثالث: ما لم يشهد شرعنا بخلافه فإننا نرجع إلى العقل إن كان قريبا فإننا لا نصدق ولا نكذب، وإن كان بعيدا فإننا نكذب، لأن هذا لما انتفى فيه الدليل الشرعي، نرجع فيه إلى الدليل العقلي، فإذا كان العقل يستبعده أبعدناه.

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} [ص: ٢١]

- كل خطاب في القرآن الكريم موجه إلى مخاطب فإنه على ثلاثة أقسام:
- الأول: أن يدل الدليل على أنه عام فيؤخذ بعمومه.
- الثاني: أن يدل الدليل على أنه خاص فيؤخذ بخصوصه.
- الثالث: أن لا يكون هناك دليل لهذا ولا لهذا فيؤخذ بعمومه.

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} [ص: ٢١]

- أن بعض الخصوم قد يكون أقوى في المخاصمة من الآخر حتى يغلبه لقوله: {وعزني في الخطاب} وثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له بنحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار"

- أنه ينبغي أن يكون الإنسان قوي الحجة، قوي البيان حتى يحصل له الغلبة على صاحبه، هذا إذا كان بحق، أما إذا كان بغير حق فإن الواجب على الإنسان أن يصمت لينطق غيره بالحق.

- كلما كان الإنسان أقوى إيمانا وأكثر عملا من الصالحات كان أبعد عن الظلم والبغي.

{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: ٢٥]

- إجابة الله سبحانه دعاء من دعاه؛ لقوله: {فغفرنا له ذلك} وهذا يستلزم عدة صفات، منها العلم والسمع والبصر، يؤخذ ذلك من قول: {ذلك} لأن الذي حصل من داود قول يسمع، وفعل يرى، فالقول الذي يسمع قوله: {فاستغفر ربه} والفعل الذي يرى قول: {وخر راكعا} فلما قال: {فغفرنا له ذلك}، علم أن الله قد سمع ما قال ورأى ما فعل، وتستلزم هذه الصفة {فغفرنا له ذلك} من الصفات - إضافة إلى العلم والسمع والبصر- القدرة، لأن المغفرة لا تقع إلا من قادر على الغفران، وتستلزم كذلك كرم الله عز وجل ولطفه بعباده، حيث يغفر لكل من أستغفر مهما عظم ذنبه، كما قال تعالى: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)} [الزمر: ٥٣]

{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦]

- وجوب الحكم بين الناس بالحق لقوله: {فاحكم بين الناس بالحق}.
- أنه لا ينبغي للشخص إذا وكل إليه تولي القضاء أن يفر منه ما دام يعرف من نفسه الكفاءة، وذلك لأنه إذا فر منه، وفر الثاني والثالث والرابع تعطل هذا المنصب العظيم الذي هو منصب الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولكن إذا أتى الإنسان هذا الشيء بدون سؤال فليستعن بالله والله يعينه عليه.
- أنه يجب أن يحكم بين الناس بالحق، سواء كان ذلك في طريق الحكم، أو في نفس الحكم، أما طريق الحكم فهو معاملة الخصمين بحيث تكون المعاملة بينهما على وجه العدل، وأما في الحكم فأن يحكم بما تقتضيه الشريعة.

{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦]

- أن اتباع الهوى سبب للإضلال عن سبيل الله لقوله: {فيضلك عن سبيل الله} ولكن هل الإضلال في نفس المخالفة؟ أم أن المخالفة نفسها ضلال، وتكون سببا لإضلال آخر؟ الجواب هو الثاني، فإن الهوى يجلب للإنسان الضلال كما أنه هو نفسه ضلال، فإذا اتبعت الهوى في قضية ما، فانتظر اتباع الهوى في القضية التي تليها، لأن المعصية قبل أن يقع فيها الإنسان يجد نفسه تستوحش منها وتنفر، فإذا فعلها مرة هانت عليه، وانكسر الحجاب، فإذا هانت عليه أول مرة هانت عليه الثانية ثم الثالثة، حتى تصبح وكأنها لا شيء، ولهذا يضرب العامة مثلا له فائدة، يقولون: بكثرة الإمساس يقل الإحساس، يعني إذا أكثر الإنسان مماسة الشيء قل إحساسه به.

- أن دين الله تعالى واحد لا يتشعب لقوله: {عن سبيل الله} فأفردها، ويدل لهذا قوله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} [الأنعام: ١٥٣]، فسبيل الله واحدة، وما خالفها فهو المتشتت. فهذا سببه الهوى، وهذا سببه خشية الناس، وهذا سببه كذا، وهذا سببه كذا، فتفرق السبل.

{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]

- وصف القرآن بأنه كتاب لعدة أوجه:
- الأول: أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما قاله تعالى: {بل هو قرآن مجيد (٢١) في لوح محفوظ (٢٢)} [البروج: ٢١ - ٢٢].
- الثاني: أنه مكتوب في الصحف التي بأيدي الملائكة، كما قال تعالى: {كلا إنها تذكرة (١١) فمن شاء ذكره (١٢) في صحف مكرمة (١٣) مرفوعة مطهرة (١٤) بأيدي سفرة (١٥) كرام برررة} [عبس: ١١ - ١٦].
- الثالث: أنه يكتب في المصاحف، كما هو معروف، وربما يدعي مدع أنه بمعنى مفروض على الأمة الإيمان به، والعمل به. فيكون هذا معنى رابعا لكلمة (مكتوب).

{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]

- بركة القرآن من عدة أوجه:
- ١ - الوجه الأول في الثواب الحاصل بتلاوته، فإن من قرأ حرفا واحدا منه، فله بكل حرف عشر حسنات، وهذه بركة عظيمة.
- ٢ - مبارك: من حيث الأثر المترتب على تلاوته، سواء كان عاما أم خاصا. فالخاص ما يحصل للإنسان بتلاوة القرآن من انشراح الصدر، ونور القلب وطمأنينته، كما هو مجرب لمن قرأ القرآن بتدبر. وأما العام، فإن الله تعالى فتح بهذا القرآن مشارق الأرض ومغاربها، فإن المسلمين لما كانوا متمسكين بهذا الكتاب، سادوا العالم كله، ولا شك أن هذا من البركة بهذا القرآن.
- ٣ - ما يحصل بهذا القرآن من اجتماع الكلمة، وحفظ اللغة الأصيلة للقوم الذين نزل بلغتهم، فمن المعلوم أن الناس إذا كانوا على لغة واحدة، صاروا إلى الاجتماع أقرب، وإذا تفرقت لغاتهم، صاروا إلى التفرق أقرب، فهذا من بركة القرآن الكريم.

{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]

- أن القرآن يستشفى به، كما دلت على ذلك آيات كثيرة أخرى، يستشفى به من أمراض القلوب، ومن أمراض الأبدان، قال تعالى: {يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (٥٧)} [يونس: ٥٧].
إذن فمن بركة القرآن؛ أنه يستشفى به من أمراض القلوب، ومن أمراض الأبدان.
- والاستشفاء به من أمراض الأبدان يقع على وجوه متنوعة:

- أ- منها: أن يقرأ على المريض به، كقراءة الفاتحة على المريض، فإنها مفيدة جدا.
- ب- ومنها: أن يكتب في إناء ويصب عليه الماء، ويدار عليه الماء حتى يتغير بهذه الكتابة، ثم يشرب، وهذا مجرب.
- جـ- ومنها - على رأي بعض العلماء من السلف والخلف -: أن يعلق بصفة تميمة، أي: يكتب في جلد أو ما شابهه، ثم يعلق على المريض، فإن هذا قد اختلف فيه السلف، فرخص فيه بعضهم، ومنعه بعضهم. ومن رخص فيه، استدل بعموم الأدلة الدالة على أن القرآن فيه الشفاء.

{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]

- حث الإنسان على تدبر الآيات. وأن لا يقرأ القرآن قراءة لفظية فقط، فإن اللّه تعالى قد ذم هذا الجنس من الناس، أعني الذين يقرؤونه قراءة لفظية، فقال تعالى: {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني} [البقرة: ٧٨]. {أماني}: يعني قراءة لفظية فقط، فوصفهم اللّه بأنهم أميون لأنهم لم ينتفعوا بالقرآن، إذ لا يمكن أن ينتفع بالقرآن إلا بفهم معانيه. فإذا لم تفهم معانيه، صار العربي والعجمي على حد سواء.

- أن تدبر القرآن فرض، لأن العمل بالقرآن فرض، ولا يتم العمل إلا بالتدبر، وما لا يتم الفرض إلا به، فهو فرض.

- من تذكر بالقرآن، فهو صاحب عقل، ومن لم يتذكر، فليس له عقل رشد، وجه ذلك أن اللّه جعل التذكر لمن اتصفوا بالعقول.

{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} [ص: ٣٤]

- أن اللّٰه قد يختبر عباده المصطفين عنده بما يشاء من اختبار، وينبغي أن نبهم ما أبهمه اللّٰه تعالى، وأن لا نبحث عنه، ونتكلف ذلك كما يفعل بعض الناس.

- أن الإنسان قد يسلب بعض النعم؛ إما جزاء على عمل عمله، واستحق عليه أن يسلب بعض النعم، وإما من أجل أن يترقى إلى درجة الصابرين، لأن الصبر درجة عالية لا تنال إلا بأسبابها.

- أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا بد أن يرجعوا إلى اللّٰه، وينتبهوا، وهذا مستفاد من قوله تعالى: {ثم أناب (٣٤)} بخلاف غيرهم، فإنهم قد يبتلون بالذنوب، ولا يرجعون عنها، وهذا هو الفرق بين الأنبياء وغيرهم: أن الأنبياء معصومون عن الاستمرار في المعاصي، أما غيرهم، فلا.

{فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص: ٣٦]

- أن الرياح لها شعور واختيار، لقوله تعالى: {تجري بأمره} لأنه إذا كان يأمرها وتشعر بالأمر، ثم تمتثل، فهو دليل أن لها شعورا ولها إرادة.

- وهكذا كل شيء في الكون له شعور، وله إرادة، بحسب ما يليق به؛ لقول اللّه تعالى: {تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن} [الإسراء: ٤٤] ولا تسبيح إلا بإرادة، ولا تسبيح إلا بشعور بعظمة المسبح. ومن هنا نرد على من قالوا: إن المراد بقوله تعالى: {جدارا يريد أن ينقض} [الكهف: ٧٧] أنه مجاز، لأننا نقول لهم: ما الذي يمنع من إرادة الجدار؟ هو له إرادة، ولكن ليست كإرادة البشر، أو إرادة الحيوان المتحرك الذي يتحرك بإرادة، لكن الجدار له إرادة وهو ساكن لا يتحرك.

- أن هذه الريح المسخرة تجري بسهولة ولين، وليس بعصف مقلق، كما هي عادة الرياح، إنما هي رخاء ولينة سهلة، كأنهم على سطح.

{والشياطين كل بناء وغواص (٣٧) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨)} [ص: ٣٧-٣٨]

- كمال ملك سليمان عليه السلام وسلطانه وتنظيمه لعمله وعماله، حيث جعل لكل طائفة ما يختص بها من العمل، فمنهم البناء، ومنهم الغواص. ومن تمام سلطانه؛ أن العاصي منهم والمتمرد قد صفده وقرنه مما يدل على عقوبة هؤلاء المخالفين.

- جواز التعزير بمثل هذا العمل؛ أي: بالشد والغل، وذلك لأن التعزير لا يختص بعقوبة معينة، لأن المقصود به الإصلاح، فأي عقوبة كان بها الإصلاح، فهي الواجبة.

- وقد يكون التعزير بالضرب وبالحبس وبالحرمان من بعض الحقوق، وبالتغريم المالي، وبالتوبيخ أمام الناس، والتعزير يقصد به الإصلاح، فأي طريق يقصد به الإصلاح كان به التعزير.

{وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: ٤٠]

- أن الناس يختلفون في القرب من الله تعالى لقوله: {وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠)}. وأقربهم من الله جوارا يوم القيامة أقربهم من عبادته في الدنيا، فكلما كان الإنسان في الدنيا أقوم بطاعة الله، وأقرب إلى الله؛ كان في الآخرة كذلك، لأن الجزاء من جنس العمل.

- أنه ينبغي للإنسان أن ينظر إلى مآبه ومآله، هل هو حسن أو سيئ، حتى إذا كان سيئا سعى في إصلاحه، وإن كان حسنا حمد الله وازداد من فضله.

- أن الله لما ذكر بأنه أنعم عليه في هذه الدنيا، وكان الواهم قد يتوهم أن ذلك ينقص من ثوابه يوم القيامة؛ بين أن ثوابه في الآخرة لا ينقص بهذا العطاء الذي أعطاه له في الدنيا، فقال تعالى: {وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠)}.

{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص: ٤١]

- بيان أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لقوله تعالى: {إذ نادى ربه أني مسني الشيطان}.
- بيان صدق لجوء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى اللّه تعالى في كونهم يفزعون إليه عند الشدائد لقوله: {أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١)}.
- جواز إضافة الأشياء إلى أسبابها، لأن أيوب عليه السلام أضاف هذا الضر إلى الشيطان لأنه سببه.
- جواز التوسل إلى اللّه تعالى بحال العبد، لأن أيوب عليه الصلاة والسلام توسل إلى اللّه تعالى بحاله؛ وهو أنه مسه الشيطان بنصب وعذاب. ونظير هذا قول موسى: {رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير} [القصص: ٢٤] فتوسل إلى اللّه تعالى بذكر حاله وأنه فقير إلى اللّه سبحانه وتعالى، وهذا أحد أنواع التوسل الجائز.

{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص: ٤١]

- أنواع التوسل هي:

- أولا: التوسل إلى اللّه تعالى بأسمائه.
- ثانيا: التوسل إلى اللّه تعالى بصفاته.
- ثالثا: التوسل إلى اللّه تعالى بأفعاله.
- رابعا: التوسل إلى اللّه تعالى بذكر حال الداعي.
- خامسا: التوسل إلى اللّه تعالى بدعاء من ترجى إجابته.
- سادسا: التوسل إلى اللّه تعالى بالإيمان.
- سابعا: التوسل إلى اللّه تعالى بالعمل الصالح.

كل هذه الأنواع من التوسل جائزة.

{هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ} [ص: ٥٥]

- كمال القرآن في التعليم والتبليغ، وأنه مثاني إذا ذكر المتقون وثوابهم ذكر المجرمون وعقابهم، ولهذا قال: {هذا وإن للطاغين لشر مآب (٥٥)} الطاغين ضد المتقين لهم شر مآب.

- نبغي للداعية إلى اللّٰه أن تكون دعوته تارة بالترغيب، وتارة بالترهيب، بل الأفضل أن يجعل دعوته مشتملة على الترغيب والترهيب، وذلك لأنها أي: الدعوة إذا كانت مقتصرة على الترغيب صارت سببا للأمن من مكر اللّٰه، وأن يتمادى الإنسان في معصية اللّٰه، ويرجو اللّٰه، وإذا كانت مشتملة على الترهيب صارت سببا للقنوط من رحمة اللّٰه، واستبعاد الرحمة، وهذا ضرر، بل ينبغي أن يكون الداعية جامعا بين هذا وهذا؛ ليحمل الناس على الرجاء وعلى الخوف. ولهذا قال الإمام أحمد: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا، فأيهم غلب هلك صاحبه. وقال بعض أهل العلم: الرجاء والخوف كالجناحين للطائر إن انخفض أحدهما سقط الطائر، وإن تساويا صار طيرانه متزنا.

{إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} [ص: ٦٤]

- أن أهل النار يتذكرون ما جرى لهم في الدنيا لقوله: {وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار (٦٢)} وكذلك أهل الجنة يتذكرون ما كان لهم في الدنيا، قال تعالى: {قال قائل منهم إني كان لي قرين (٥١) يقول أإنك لمن المصدقين (٥٢) أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون (٥٣) قال هل أنتم مطلعون} يقول لصحبه الذين معه في الجنة {فاطلع فرآه في سواء الجحيم (٥٥)} رأى قرينه {قال تاللّه إن كدت لتردين (٥٦)} وهو يسمع هذا في أعلى عليين وهذا في أسفل السافلين يسمع {قال تاللّه إن كدت لتردين (٥٦) ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين} [الصافات: ٥١ - ٥٧] أي: من المحضرين في العذاب كما أنت محضر في العذاب.

- أن هذا الخصام الذي يقع بين أهل النار حق لقوله: {إن ذلك لحق} ويتفرع عن هذه الفائدة: أنه يجب على كل أحد أن لا يغتر بالسادة والمتبوعين، بل يكون همه نفسه.

{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ} [ص: ٧١]

- إثبات أن أصل بني آدم هو الطين، ولهذا جاءت طبائع بني آدم وألوانهم مختلفة كاختلاف الأرض، أو كاختلاف تربة الأرض فيها السهل واللين، والأحمر والأبيض والأسود، والحزن والصعب، لأنهم خلقوا من هذه التربة فصار اختلافهم كاختلاف الأصل الذي خلقوا منه.

- وقلنا هنا: إن في هذه الآية إثبات أن بني آدم خلقوا من الطين، وفي آيات أخرى أنهم خلقوا من التراب، وفي آية ثالثة من صلصال كالفخار، ولا منافاة بين هذه الآيات، لأن التراب أصله طين، والطين أصل الصلصال الذي كالفخار، فالتراب يصير طينا وحين يمكث مدة يتحجر فيكون صلصالا.

{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [ص: ٧٦]

- أن الإنسان قد يعمى عن الحق فيستدل بما هو حجة عليه، يظن أنه حجة له لقوله: {خلقتني من نار وخلقته من طين (٧٦)}.
- أن من قدم العقل على السمع فإنما هو متبع لخطوات الشيطان، لأن الشيطان قدم ما يدعي أنه عقل على السمع فأخطأ في ذلك، فهكذا كل من قدم العقل على السمع سواء في العلميات وهي علم العقائد، أو في العمليات فإنه مشابه لإبليس، متبع لخطواته، واعلم أن كل بليه تقع من تحريف الكلم عن مواضعه، والاستكبار عن عبادة اللّه وغير ذلك فأصله من إبليس.
- أن إبليس كان قد أقر بانحطاط منزلته عن الربوبية لقوله: {خلقتني} والمخلوق لا يمكن أن يكون ربا.

{قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} [ص: ٨٠]

- أن اللّٰه قد يقدر أسباب الشر لحكمة، وذلك بإجابة دعاء إبليس أن ينظره إلى يوم الوقت المعلوم، وإبليس لا شك أنه مبدأ كل شر، ولكن اللّٰه تعالى أبقاه لحكمة عظيمة، ولولا بقاء إبليس ما وجد عاص في الأرض، وإذا انتفى العصيان صار الناس أمة واحدة، ولم يكن الإيمان مزية، ولم يكن جهاد ولا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر، ولو كان الناس أمة واحدة لتعطل كثير من شعائر الإسلام، فكان من الحكمة بقاء إبليس، وبقاء ما يدعو إليه إبليس.

- أن اللّٰه أجاب طلب إبليس ودعاءه لكن لا {إلى يوم يبعثون (٧٩)} بل {إلى يوم الوقت المعلوم (٨١)} ويوم الوقت المعلوم، هو يوم موت الناس أجمعين حين ينفخ في الصور فيصعقون جميعا.

{وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} [ص: ٨٨]

- أن آيات النبي - صلى الله عليه وسلم - تأتي متتابعة منها ما علم في عهده، ومنها ما علم بعد ذلك، ومنها ما لا يعلم إلا يوم القيامة، والذي يعلم يوم القيامة يكون معلوما لكل أحد، والذي يعلم في وقته يكون معلوما لمن أدركه ولمن أتى من بعده، وكذلك نقول في الذي يأتي بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم -.
- أن الله تعالى تكفل بأن يعلم الناس صدق نبأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - لقوله: {ولتعلمن نبأه}
- هذا النبأ الذي أنبا الله به بواسطة هذا القرآن الكريم سيعلمه الناس كلهم، وذلك ما أخبر به عما يكون يوم القيامة، فإن هذا القرآن أخبر عن ما يكون يوم القيامة، وهذا سيعلمه الناس كلهم بعد حين.

انتهى بحمد اللّٰه وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة

(ص)

نسأل اللّٰه تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
@fwayidd1